

السجاد الايراني

سهيلة الجبوري

يعتبر السجاد أكثر منتجات الفن الايراني انتشاراً في العالم وذلك لشهرته الواسعة التي ترجع الى العصور القديمة حيث كانت تصدر الى الاغريق ثم البيزنطيين ومن جاء بعدهم .

يرجع المرحوم الدكتور زكي محمد حسن قدم السجاد الايراني الى عصر السلاجقة في القرن السادس الهجري^(١) (الثاني عشر الميلادي) ، بينما ترى الدكتورة سعاد ماهر ان أقدم انواع السجاد في العالم الاسلامي وبضمنه السجاد الايراني يرجع الى القرن الخامس عشر الميلادي ، وترى أيضاً ان تلك السجاجيد التي نسجت قبل القرن الخامس عشر للملاد تدخل تحت باب النسيج الوبري (Looped Weaving)

الا أنني أرى ان صناعة السجاد ترجع الى ما قبل القرن الثاني عشر الميلادي، اذ ليس من الصحيح ان تنسب السجاد الى النسيج الوبري، لكننا نقول ان السجاد قبل القرن الخامس عشر الميلادي لم يبلغ من الجودة والالتقان والجمال ما بلغه في القرن الخامس عشر وذلك لاهتمام البلاط والامراء بانتاجه حيث أنشئت مصانع النسيج الشاهانية ينسج فيها مهرة الصناع السجاجيد الجميلة لقصور الشاه او للامراء والملوك الاجانب الذين يأمر باهدائها اليهم .

ثم ان صناعة النسيج الوبري تختلف عن صناعة السجاد اختلافاً كبيراً ، فخميلة السجاد هي نهايات خصلات العقد التي تعقد على خيوط السدي^(٢) ، أما طريقة صناعة النسيج الوبري فهي تقاطع خيوط السدي مع

(١) ص ١٤٩ الفنون الايرانية الدكتور زكي محمد حسن .

(٢) سوف يأتي الكلام عن كيفية صناعة السجاد في الصفحات

التالية .

مع خيوط اللحمة ويحدث من تلقاء ذاته مجموعة من حلقات او عراو من اللحمة او السدى يجاور بعضها بعضا ، ظاهرة على سطح النسيج ، ويستعان على ذلك اما باستعمال سدى خاصة خلاف السدى الاصلية او لحمة خاصة خاصة لهذا الغرض الى جانب استخدام أسلوب نسجي لاظهار خيوط السدى الثانية ، أو خيوط اللحمة الخاص من بين خيوط السدى الاصلية على هيئة عراو متساوية بالارتفاع والكثافة المطلوبة ، ويستعان على ذلك بادخال قضيب رفيع من الخشب او السلك قطاعه العرضى مستدير أو بيضوى الشكل داخل الحلقات الناتجة من سحب خيط اللحمة للمحافظة على ارتفاع الحلقات وتساوى أطوالها ويعرف هذا القضيب باسم (السلال) (٣) .

يضاف الى ذلك ان عقدة السجاد التى تؤلف بمجموعها الخميعة ليست من نفس النوعية لخيوط السدى واللحمة ، وان خصلات هذه العقد تقص نهاياتها لتكون الخميعة بينما الوبر Terry Pile فى النسيج الوبرى هو من نفس خيوط السدى واللحمة او من سدى ثانية او لحمة أخرى ، وهو حلقات غير مقصوفة .

وهناك دليل آخر يمكننا الاستناد اليه لنثبت وجود صناعة السجاد قبل القرن الثانى عشر والخامس عشر الميلادى اذ ان كسرى الاول فى (٥٣١-٥٧٩ م) كان يملك سجادة نفيسة عليها رسم صياد فى روضة غناء . أما السجادة التى كانت فى قصر كسر الثانى بالمدائن فقد أطب المؤرخون فى وصفها (٤) .

ولا شك فى أن ايران كانت أكبر مركز لصناعة السجاد فى الشرق كله ، وان المراكز الاخرى تأثرت بأساليبها الفنية . فقد اشتهرت بصناعة أحسن السجاد وأفخره فلا يدري المرء بأى شىء يعجب ! أبنضارة الالوان ؟ أو تلاؤمها ، أم بجمال الزخارف ودقتها ، أم بمتانة الصناعة واتقانها . (٥)

(٣) انظر كتاب منسوجات المتحف القبطى للدكتورة سعاد ماهر .

(٤) ص ١٧٧ - ١٧٨ ح ٤ (الطبرى) .

(٥) ص ١٥٠ الفنون الايرانية الدكتور زكى محمد حسن .

كان السجاد الايراني يصنع في المراكز الرئيسية المهمة مثل أصفهان
وكرمان وقاشان وقم وتبريز وكرباغ وهمدان وشستر وهرارة ، وكانت
أكثر الصادرات من هذا النوع^(٦) . وهناك نوع آخر هو أبسط الانواع
كانت تصنعها القبائل الرحل وعامة الشعب في المدن .

استمر السجاد الايراني في الجودة الى القرنين السادس عشر والسابع
عشر للميلاد . وقد قدر الاستاذ بوب A. U. Pop عدد المحفوظ من هذه
السجاجيد في المتاحف والكنائس والمجموعات الخاصة والذي ظهر منها
في أسواق السجاجيد الاثرية ، قدره بزهاء ثلاثة آلاف سجادة كاملة .

وللسجاد الايراني كغيره من السجاجيد أنواع كثيرة وأسماء متعددة
وقد اختلف رجال الفنون في تسمية هذه السجاجيد فمنهم من نسبها الى
مراكز صناعتها ومنهم من نسبها الى نوعية زخارفها ، والواقع انه من الصعب
تسمية السجاد او نسبه الى مراكزه الصناعية وذلك لأن وقوع الاختيار
لذلك المركز الصناعي سببه توفر المواد الاولية ونقاوة مياهه وسهولة الوصول
اليه ، يضاف الى ذلك ان مركز الصناعة قد يكون قرية ليس لعمالها الا
تنفيذ ما تطلبه المراجع الفنية الرئيسية في المدينة ، أو تقليدا ينال رواجاً
كبيراً أصله في مكان بعيد عن مركز الصناعة .

هذا خلاف ما يراه الاستاذ C. J. Delabare May^(٧) من أن صناعة السجاد
ونوعيته في منطقة ما لا تتأثر بالمنطقة المجاورة لها ، بل احتفظت كل منطقة
بطابعها الخاص في صناعة السجاد ، ويعزى ذلك الى أن الصناع يتعلمون
صناعة السجاد وأساليبها منذ الطفولة ولا يمكنهم التقليد وبذلك يصبح عندهم
عمل ذاتي عند تقدمهم في السن ، أي انه أراد أن يقول انه تنسب السجاجيد
الايرانية الى مراكز صناعتها وذلك بعكس ما يراه المرحوم الدكتور زكي

(٦) ص ٤٠٠ فنون الاسلام الدكتور زكي محمد حسن .

(٧) Persian Rugs and other Oriental Rugs C. J. Delabere May.
P 38.

حسن • اد من الأفضل ان تنسب السجاجيد الايرانية الى زخارفها
كما يمكن نسبة بعض الانواع منها الى مصانع بعض المدن الايرانية •

أهم أنواع السجاجيد الايرانية

١ - السجاجيد ذات الصرة Medalion Carpets :-

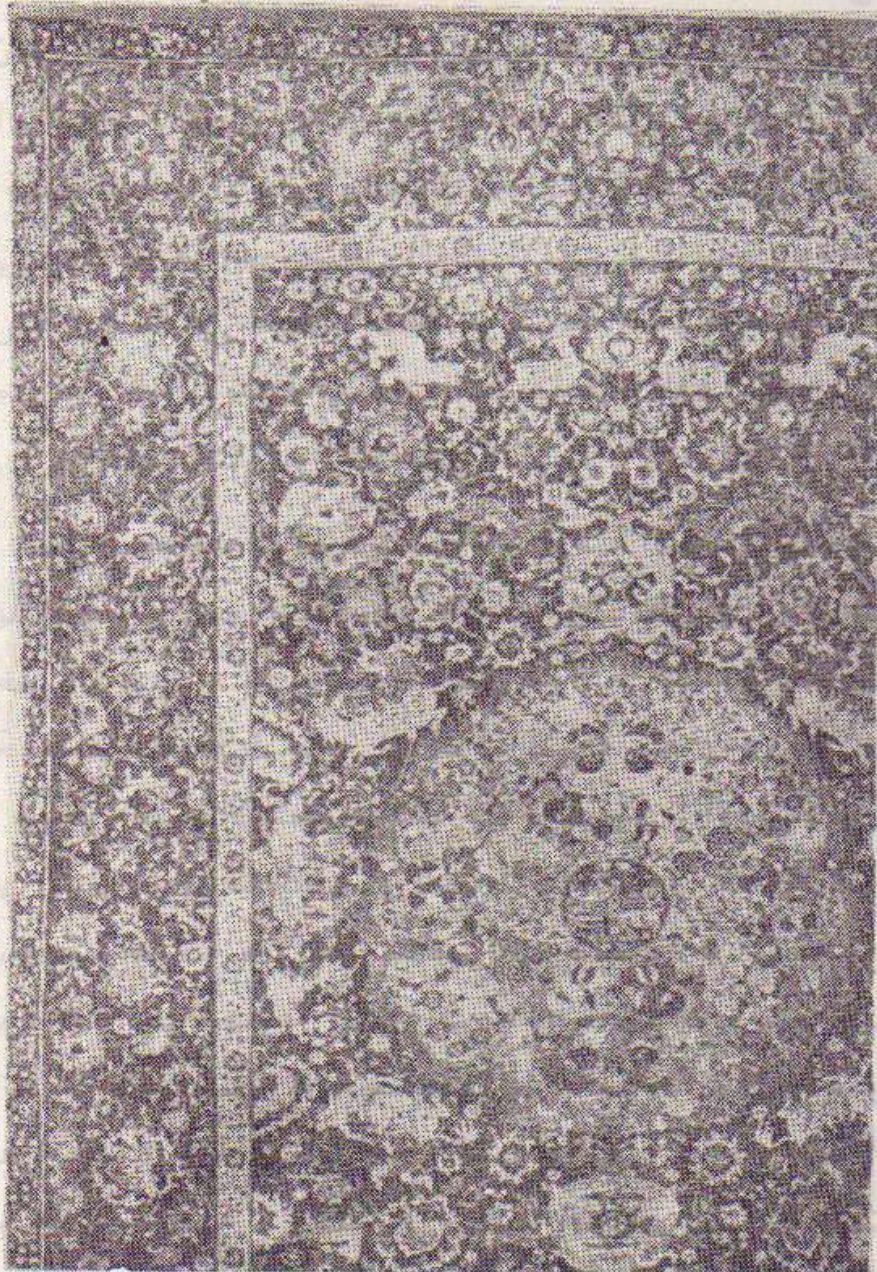
تصنع في شمالي ايران وفي تبريز وقاشان وقد بلغت جودتها في القرن
السادس عشر الميلادي ودب التدهور في صناعتها منذ القرن السابع عشر
الميلادي ، تتكون هذه السجاجيد من صرة (جامة) وسطية ذات أشكال
مختلفة وقد يمتد من طرفي الجامة موضوع زخرفي أو اناء معلق • وفي
الأركان أرباع جامات • وهذا النوع شائع في الفنون الاسلامية لاسيما في
جلود الكتب والصفحات الاولى المذهبة في المخطوطات • أما أرضية السجاد
فمملوءة زهورا وفروعا نباتية ، فضلا عن رسوم السحب العينية (تشي)
استعملت فيها الالوان : الاحمر والاخضر والاصفر والازرق الناصع
والداكن والاسمر والابيض • ولهذه السجاجيد اطار ثانوي داخل الاطار
الخارجي • وهناك سجاجيد ذات جامة او جامتين فيها رسوم النباتية
والحيوانية ومن أقدم الامثلة المعروفة من تلك المجموعة : بساط متحف
بولدي بتزولي Poldi Pezzoli^(٨) وبساط بمتحف القيصر فردريك
برلين وتحفظ مجموعة متحف المتروبوليتان ببساطين هامين بهما جامتان
كبرتان وتشتملان على صورة آدمية ترتدي ملابس باللون الازرق والاخضر
والاحمر وتعزف على آلات موسيقية او تمسك ببعض الحيوانات ، ويزين
الارض الصفراء أشار غنية بألوانها • أما بقية أرضية البساط فتكسوها
تفريعات مزهرة تضم بينها مراوح نخلية ورسوم حيوانية متعددة الالوان
على أرضية حمراء خميرية [أنظر شكل ١] •

(٨) A Survey of Persian Art. p. III7. V. 6.

ص ٤٠٠ - ٤٠٢ فنون الاسلام المرحوم الدكتور زكي محمد حسن •

من خزانة المتحف البريطاني - لندن

القرن السادس عشر الميلادي، إيران، سجادة ذات جامه « صرة » من القرن السادس عشر للميلاد.



شكل (١) سجادة إيرانية ذات جامه « صرة » من القرن السادس عشر للميلاد .

٢ - السجاجيد البولندية :-

وهي سجاجيد فاخرة ذات رسوم مزهرة يحمل بعضها رنوكا بولندية . وكانت تنسب الى بولندا خطأ ويرجع الفضل الى العالمين بود ومارتن في لفت النظر الى انها ايرانية صميمة ، وذلك بمقارنتها بالابسطة التي انتجتها ايران في القرنين السادس عشر والسابع عشر ومن المؤكد انها صنعت بمصانع البلاط بأصفهان وقاشان خلال النصف الاول من القرن السابع عشر وقد صنعت للبلاط الايراني وللملوك الاوربيين ، ففي القرن السابع عشر أو في ملوك بولندا مبعوثيهم من التجار الارمن الى أصفهان وقاشان بوجه خاص ، للتوصية على عمل أبسطة حريرية مشغولة بخيوط الذهب . وصنعت مثل هذه الابسطة في عهد الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٨) والشاه صفى (١٦٢٨-١٦٤٢) والشاه عباس الثاني (١٦٤٢-١٦٦٦) .

تمتاز السجاجيد البولندية بتعدد ألوان أرضية السجادة الواحدة وأشهر ألوانها الاصفر الناصع ، والاخضر النافض والبرتقالى والازرق الفيروزى والاحمر القرمزى . وفي كاتدرائية سان مارك في البندقية سجادة بولندية قديمة أهداها سفير الشاه عباس الى حاكم البندقية سنة ١٦٠٣م^(٩) . ويمكن تقسيم الابسطة البولندية الى مجموعتين : الاولى ذات عقد من الحرير المشغول بخيوط الفضة او الخيوط المذهبة ، وهذه الاخيرة ذات ألوان رقيقة هادئة . ويملك متحف المتروبوليتان اربع أبسطة من هذه المجموعة ، وتضم مجموعة ألتمان نموذجا بديعا تزينه رسوم التفريعات النباتية المزهرة والمراوح النخيلية بالالوان الفاتحة ، الوردية والزرقاء والصفراء على أرضية وسطها بلون الفضة والذهب ، وأجزاؤها الاخرى رمادية وزرقاء فاتحة . وتنتشر في اطرافها الاوراق الطويلة المستننة التي عرفت في أبسطة هراة . وكذلك المراوح النخيلية ذات الالوان الفاتحة على الارضية الخضراء الزمردية . (انظر شكل ٢)

(٩) ص ١٦٥ - ١٦٧ الفنون الايرانية زكى محمد حسن
ص ٢٩٠ - ٢٩١ الفنون الاسلامية ديماند .



شكل (٢) سجادة من الحرير « من النوع المنسوب الى بولندا » من
ايران من منتصف العصر الصفوى •

٣ - السجاجيد ذات الرسوم الحيوانية :-

صنعت في القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد زخارفها تمثل مناظر صيد او حيوانات خرافية ، وقد برع الفنان في اكساب هذه الرسوم روحا وحياة وحركة .

ومن أجمل هذه السجاجيد والتي تعد آية في الجمال سجادة من الصوف من مسجد الشيخ صفى الدين بأدريل وتشبه هذه السجادة سجادة أخرى في مجموعة (روكفلر بنيويورك) وتكرر في هذه السجادة رسوم حيوانية متقابلة تتألف من أسد ونمر يهاجمان حيوان صيني واختلطت هذه الكائنات الحية مع الوريدات والمراوح النخيلية ومراوح نبات عود الصليب ذات الالوان الغنية المنسجمة فوق الارضية الحمراء الخمرية وزاد في قيمة تلك الموضوعات الزخرفية استخدام خطوط الفضة ، التي لا تزال ترى في جزء من تلك السجادة ويزين الاطار رسم هادىء جميل من الزخارف النباتية المتشابكة من الفروع النباتية وأشربة من السحب الصينية (تشي) على أرضية زرقاء قاتمة . وتنسب هذه السجادة الجميلة الى تبريز مصنوعة في منتصف القرن السادس عشر للميلاد (أنظر شكل ٣) وهي محفوظة الآن في متحف ايتروبوليتان بنيويورك (١٠) .

وفي نفس المتحف سجادة حريرية تنسب الى قاشان زخرفتها تتكون من ستة صفوف نرى فيها الاسد والنمر والفهد والتين والغزال وابن آوى والثعلب والارنب على أرضية من الاشجار والزهور . أما اطارها فمحلل بمراوح نخيلية يحف بكل منها طائران بريان . (١١)

٤ - سجاجيد الصلاة :-

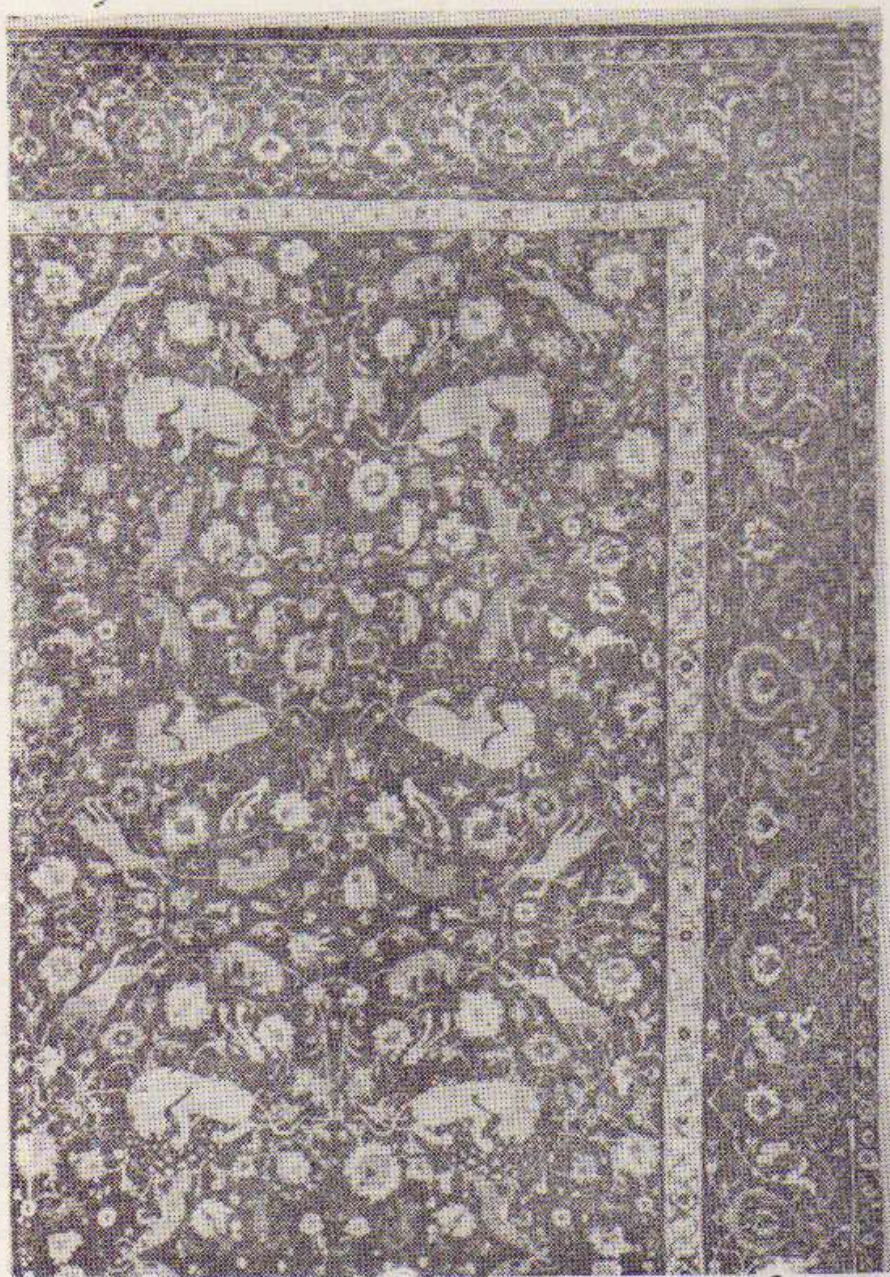
كانت تصنع في شمالى غربى ايران لا سيما تبريز ، تمتاز هذه

(١٠)

A Survey of Persian Art p. 1177 - V. 6.
Hand book - Dimand. p. 289-291.
Hand book - Dimand p. 292-293.

o

السجاجيد بعقد وسطي يمثل المحراب تحف به الآيات القرآنية المكتوب
بالخط الكوفي والنسخي والتستعليق ومعظم المعروف من هذا النوع لم



شكل (٣) سجادة إيرانية ذات رسوم حيوانية ترجع إلى القرن
السادس عشر الميلادي •

يكن غاية في الجمال والابداع لأن الفنان لم يفلح تماما في استخدام الكتابة
عنصرا زخرفيا متقنا (١٢) (أنظر شكل ٤) •



شكل (٤) سجادة إيرانية للصلاة ترجع الى القرن السادس عشر •

(١٢) ص ١٦٩ الفنون الإيرانية الدكتور زكي محمد حسن •

٥ - السجاجيد ذات الاشجار والحدائق :-

لعبت الحدائق دورا هاما في حياة الناس في ايران ، وأغرم المصورون الايرانيون بتصويرها في الكتب ، كما أدخلها النساجون في تزيين الالبسة في أوائل العصر الصفوي . ومن أقدم الامثلة النادرة المعروفة ذات المناظر الطبيعية ، سجادة بمجموعة جوزيف ليز وليامز التذكارية في وليمز تاون وتتكون زخارفها من أشجار السرو الكبيرة والشجيرات الصغيرة وأشجار الزهور على أرضية حمراء .

وهناك نوع آخر من أبسطة الاشجار بمتحف المتربوليتات مؤرخ في النصف الاخير من القرن السادس عشر ، ويزين وسطه حوض صغير تسبح فيه الاسماك وتحيطه أربعة من أشجار الزهور ، وتقف الطيور على أغصانها أو تحلق على مقربة منها . ولون الارضية أحمر خمري وتتألف زخارفها من الاشجار والمراوح النخيلية موزعة توزيعا متعادلا على الارضية .

وهناك مجموعة أخرى من السجاجيد التي تمتاز برسوم حدائق مقسمة الى مناطق مستطيلة ذات أشجار وشجيرات تفصل بينها جداول الماء . وأقدم سجادة معروفة من هذا النوع هي سجادة بها خيوط من الفضة والذهب محفوظة بفينا ضمن مجموعة فيجدور ويمكن نسبتها الى عصر الشاه عباس (١٥٨٧-١٦٢٨) ، وقد اكتشفت في عام ١٩٣٧ في أحد مخازن قصر بمدينة عنبر ، وهي الآن معروضة في متحف جيور (١٣) .

وهناك أنواع أخرى من السجاجيد الايرانية لا يسعنا المجال لذكرها الآن في هذه المقالة التي نود أن نتفرغ فيها عن ذكر كيفية صناعة السجاد ، منها السجاجيد ذات الارابيسك وسجاد هولباين الى غير ذلك من انواع كثيرة ومتعددة لكل منها صفاتها الخاصة بها .

(١٣) ص ٢٩٢ - ٢٩٣ الفنون الاسلامية ديماند .

عناصر السجاد الايراني :

١ - السدى Warp :

هى الخيوط الطويلة المشدودة من نهايتها على نوزل رأسى وهذه الخيوط تظهر فى نهايتى السجادة (شرايب) ، وهى أساس السجادة حيث تلف عليها العقد ، وتمر خيوط اللحمة من خلالها بصورة أفقية وهذه الخيوط لا ترى فى الوجه لأنها مغطاة بالخميلة ، كما لا ترى فى القفا لأنها مغطاة بخيوط اللحمة والعقد .

٢ - اللحمة Weft :

وهى خيوط تمر من بين خيوط السدى من الخلف والامام ، وتتعاقب صفوف خيوط اللحمة مع صفوف العقد . تختفى تحت الخميلة من وجه السجادة الا انه من الممكن تمييزها فى قفا السجادة .

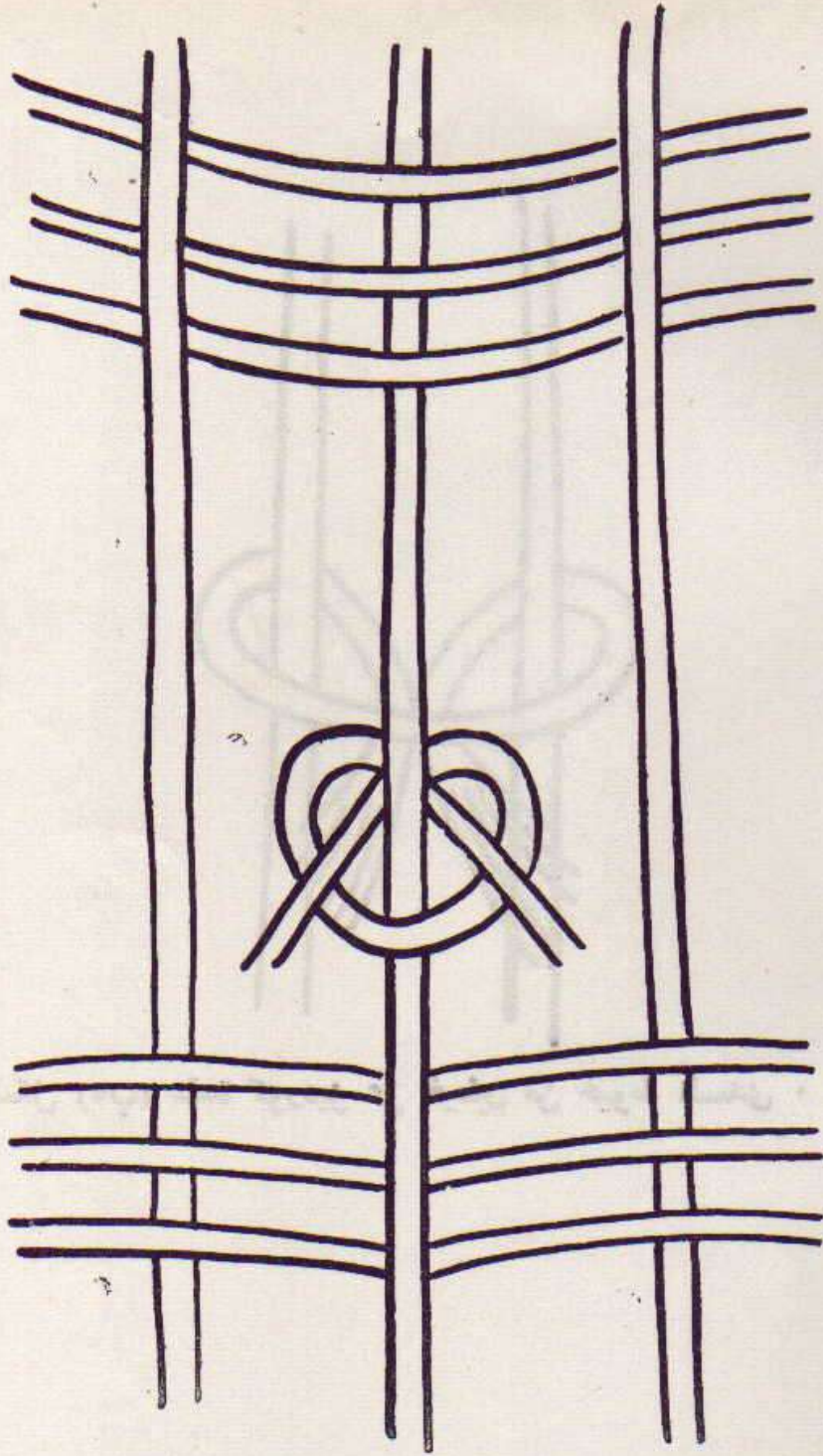
٣ - العقد Knots :

وهى التواء أو التفاف خيط صغير على خيط او خيطين من خيوط السدى فتحدث ما يشبه عقدة تقص من أعلاها لتكون خصلتها الخميلة التى تغطى سطح السجاد . وتبقى هذه العقد فى مكانها نتيجة لضغط خيوط السدى فى الجوانب وخيوط اللحمة من فوقها وتحتها .
وتقسم العقد بالنسبة للسجاد الشرقى الى نوعين :-

النوع الاول : تسمى عقدة كورديز Ghiordes Knot أى العقدة التركية .

والنوع الثانى : عقدة سينا Sehna Knot أى العقدة الايرانية .
ان الاختلاف بين هاتين العقدين هو فى طريقة ربطها بخيوط السدى ، فعقدة كورديز تخرج من بين خيطين من خيوط السدى وتلتف اما على خيط واحد من خيوط السدى اذا كان خيطها من النوع الجيد الرفيع ، أو

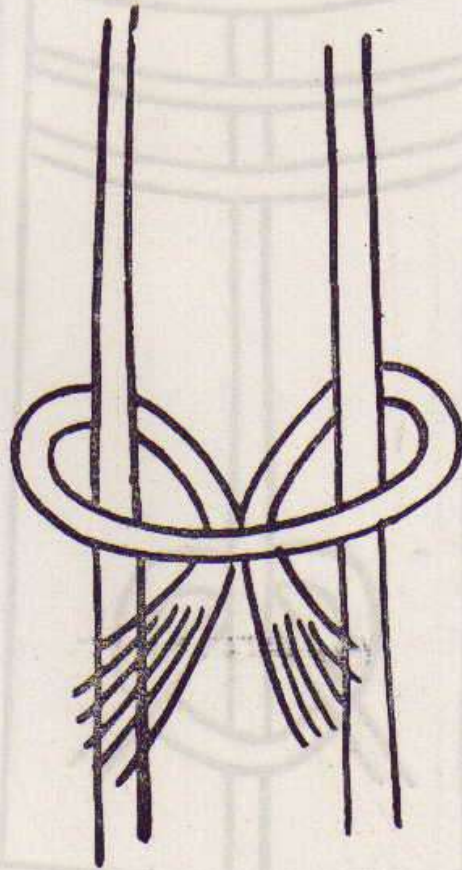
على خيطين من خيوط السدى اذا كان خيط العقدة خشنا رديئا (أنظر
شكل ١٥، ١٥ب) (١٤) .



شكل (١٥) عقدة كورديز على خيط واحد من السدى .

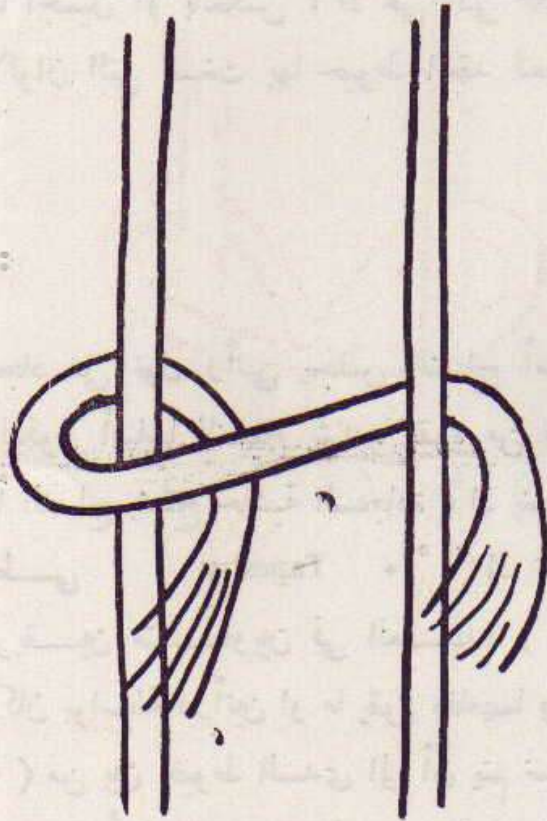
(١٤)

Persian Rugs and other Oriental Rugs C. J. De labere May - p 39-42.



شكل (هـ) عقدة كورديز على خيطين من خيوط السدي •

أما عقدة سينا فقد يلف خيطها على خيطين من خيوط السدى الا انها
تُعقد على خيط واحد من خيوط السدى وتحتضن الخيط الثاني للسدى
من الخلف (أنظر شكل ٦) •



شكل (٦) عقدة سينا •

ان هذه العقدة تأخذ وقتاً أكثر من عقدة كورديز ، ولكل بلد طريقته الخاصة في عقد العقد من حيث جهة عقدها سواء من الجهة اليمنى أم الجهة اليسرى ، ومن حيث نوعيتها •

٤ - الغميلة Pile :

هي نهايات خصلات العقد التي تغطي سطح السجاد وهي التي تظهر السجاد بمظهرها الجميل أو بالعكس ، اذ هي التي تكون زخرفة السجاد بواسطة تعدد الالوان التي صبغت بها خيوط العقد لتعطي السجاد رونقا وبهاءً •

صناعة السجاد :

يصنع السجاد على نول رأسى يجلس النساج أمامه ويضع خيوط السدى الطويلة لتكون أساساً للنسيج يشدها بقوة من الاعلى ومن الاسفل على النول ثم يبدأ النساج بنسج حاشية السجادة ، اذ ينسجها بطريقة بسيطة تعرف بالقباطى Tapestry • (١٥) اذ تقسم خيوط السدى الى فريقين متساويين فى العدد (خيوط زوجية او فردية) يتحركان بواسطة درأتين او ما يقوم مقامهما وتمر خيوط اللحمة (الخيوط الافقية) من بين خيوط السدى الى أن يتم نسج مسافة قليلة هي حاشية السجادة • ثم يبدأ النساج بنسج السجادة نفسها اذ يبدأ بامرار صف او أكثر من خيوط اللحمة فى النفس الواحد (١٦) ثم يليه صف واحد من العقد وذلك بحسب احدى الطرق التي ذكرناها سابقا • ثم تتعاقب صفوف اللحمة مع صفوف العقد الى أن تنتهى السجادة لتنسج الحاشية الثانية بالطريقة

(١٥) انظر كتاب منسوجات المتحف القبطى للدكتورة سعاد ماهر •

التي نسجت فيها الحاشية الاولى نفسها • (أنظر شكل ٧)
 أما زخارف السجاد فتكون من خيوط العقد الملونة المصبوغة خيوطها
 بالاصباغ الحيوانية والنباتية ، اذ ان النساج ينظر الى نموذج للزخرفة المراد
 تطبيقها في تلك السجادة فيضع العُقَد ذات اللون الاخضر مثلا في المكان
 المناسب ثم الابيض فالاحمر وهكذا •
 ولعل أعظم من اشتغل من المصورين بعمل زخارف السجاد بهزاد
 وسلطان محمد وسيد علي (١٧) •



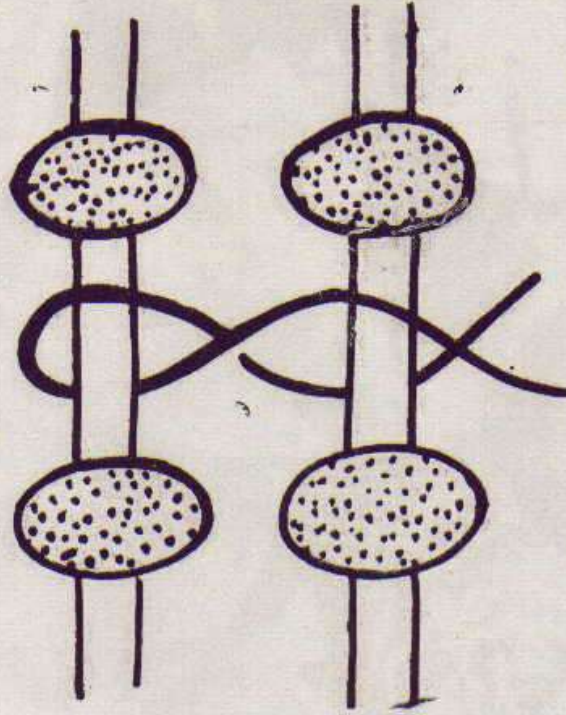
شكل (٧) صورتين تبين كيفية صناعة السجادة •

(١٦) النفس : هو الانفراج الذي يحدث بفصل الخيوط الفردية عن
 الزوجية من خيوط السدى •
 (١٧) ص ١٥٦ الفنون الايرانية المرحوم الدكتور زكي محمد حسن •

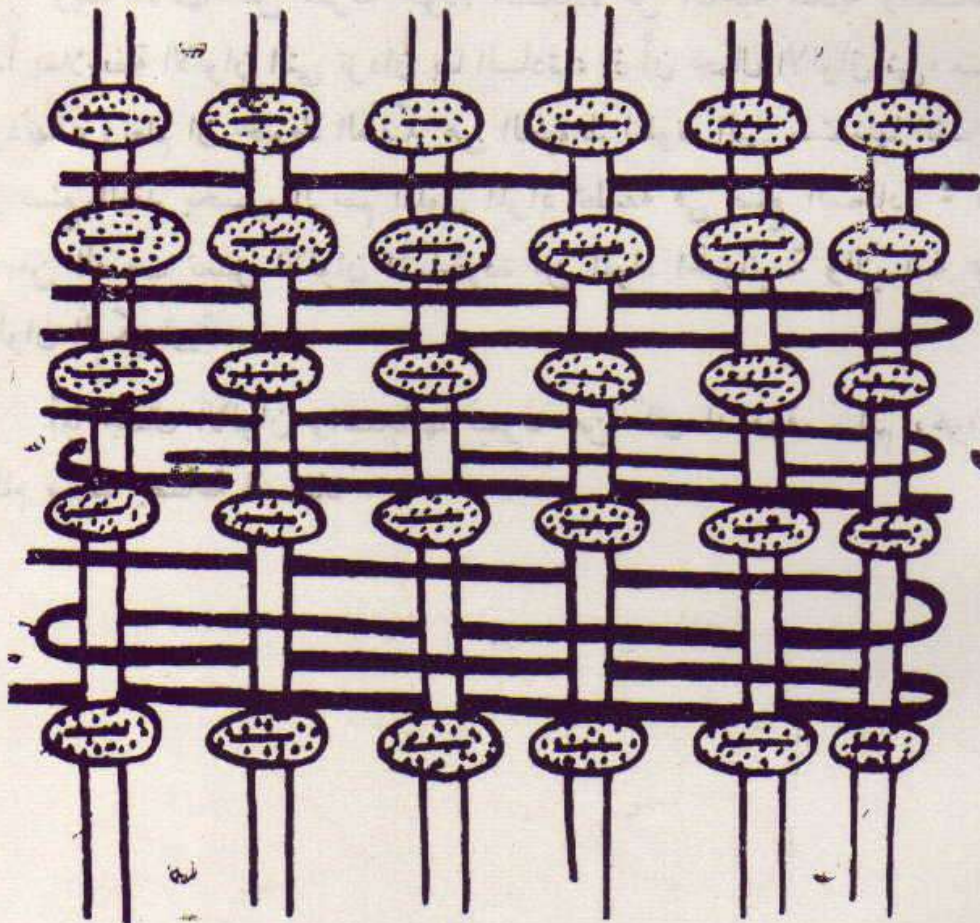
كيف تميز السجاجيد الجيدة :

من الممكن معرفة السجاد الجيد وذلك بأن نلقى نظرة دقيقة على خميلة السجادة مع لمس خفيف لها ، إذ أن السجاد الجيد هو ذو الخميلة الناعمة الكثيفة ، والسبب في ذلك هو : جودة خيوط العُقَد وماتتها ورفعها وذلك يدل على أن كل عقدة تلف على خيط واحد من خيوط السدى وليس على خيطين كما لو كانت خيوط العقد خشنة رديئة حيث تصبح خميلة السجادة في هذه الحالة خشنة غير كثيفة .

أما السبب الثاني في جودة السجاد فهو قلة خيوط اللحمية في «النفس» الواحد والتي هي بين كل صفين من صفوف العُقَد (أنظر شكل ١٨ ، أ ، ب) ،



شكل (١٨) خيط اللحمية بين صفين من صفوف العُقَد .



شكل (ب) شكل توضيحي يبين عدد خيوط اللحمة بين كل صفين
من صفوف العقد •

فالسجادة التي تتكون من خيط واحد من خيوط اللحمة بين كل صفيين من صفوف العُقَد تكون صفوف العُقَد متقاربة فيما بينها وهذا يؤدي الى زيادة في كثافة الخميطة ذات الخيوط الجيدة ، وبالعكس كلما زادت خيوط اللحمة بين كل صفيين من صفوف العُقَد قلت كثافة الخميطة أي ان صفوف العُقَد تباعدت فيما بينها •

وبعد الانتهاء من معرفة جودة السجادة من الناحية المادية والصناعية نبدأ بملاحظة الالوان التي تزدان بها السادة ، اذ أن جمال الالوان شيء متمم لجودتها ، ونعلم ان خيوط العُقَد هي الخيوط الملونة التي يستعملها النساج في صنع العُقَد بحسب الرسم الملون المراد تطبيقه في صنع السجادة • الا انه من الصعب تمييز الالوان المأخوذة من المواد الحيوانية والنباتية عن الالوان الكيماوية •

أما جمال الالوان وانسجامها فيعرفه من كان له ذوق سليم وهواية والملم بسيط بصناعة السجاد •

